مجلـــة بـدايـــات
Email :bidayat@lagh-univ.dz Revue :Bidayate ISSN: 2676-198X
المجلد: الأول01 / العدد: الثالث / ديسمبر 2019/ ص ص: 130-142

ملامح المنهج الواقعي في كتاب (دراسات نقدية) للناقد (حسين مروة)

Features of the realistic approach in the book (Critical Studies) by the critic ((Hussein Marwa

أ.د. حنان حمودة

قسم اللغة العربية/ كلية الآداب - جامعة الزرقاء – الأردن

تاريخ الإرسال:2019/10/20	تاريخ القبول:2019/11/24	تاريخ النشر 2019/12/25

ملخص البحث

الناقد حسين مروة من النقاد الذين آمنوا بالواقعية كمذهب نقدي، وقد حاول تطبيقه في معظم ما كتب من نقد، وكتابه دراسات نقدية خير مثال على فكر الناقد وإيمانه بالمنهج الواقعي وقدرته على الغوص في فهم النصوص الشعرية والنثرية على حد سواء، فهو يلخص مبادئ الواقعية الجديدة من خلال دراسته لبعض الأشعار؛ أو تعليقاته على بعض الكتب المنتقاة، أو إشارته إلى بعض الفنون النثرية، وقد جاء البحث في مدخل يتناول الواقعية منهجا نقديا؛ ليتوقف عند أبرز مفاهيمها وأعلامها، ثم تبعه المطلب الأول ليتناول الواقعية عند النقاد العرب، ومن أبرزهم حسين مروة وما أضافه، أو تميز به عن غيره من النقاد العرب، ثم جاء المطلب الثاني ليتناول معالم النظرة النقدية عند الناقد من خلال أبحاث كتابه دراسات نقدية، لينتهي البحث بخلاصة توضح نظرة مروة للمنهج الواقعي، وما فيها من إيجابيات وسلبيات .

الكلمات المفتاحية: النقد الواقعي، السياق، حسين مروة.

Critic Hussein Marwa is one of the critics who believed in realism as a critical doctrine, and he tried to apply it in most of what was written criticism, and his book Critical Studies is a good example of the critic's thought and his belief in the realistic approach and his ability to dive into the understanding of poetic and prose texts alike, it summarizes the principles of new realism from During his study of some poems; or his comments on some selected books, or his reference to some prose arts. The research came in an introduction that deals with realism as a critical approach to stop at the most prominent concepts and flags, then followed by the first demand to address realism among Arab critics, and most notably Hussein Marwa and what Add it, or set it apart Other Arab critics, then

the second demand came to address the features of the critical view of the critic through the researches of his book Critical Studies, to end the research with a conclusion that explains a narrated view of the realistic approach, and its pros and cons.

Key words: realistic criticism, context, Hussein Marwa.

مقدمة:

الواقعية منهجاً:

يبدو أن دراسة الواقعية في نقدنا الحديث ظفرت بكثير من الاهتمام، فقد تردد مصطلح الواقعية في كثير من الدراسات النقدية في محاولة لتحديد مفهوم الواقعية، وتحديد مبادئها الفلسفية، والجمالية، ومدى ارتباطها بالرومانسية، فكانت الرومانسية تمهيداً للواقعية من خلال إبرازها اللون المحلي في الأدب، والاهتمام بالمجتمع، والتركيز على علاقة الفرد بمجتمعه، إلا أن إغراق الرومانسية واهتمامها بمشاعر الفرد أتاح للواقعية الاهتمام بالمجتمع "فهي تمجد الإنسان وتبحث عن طريق لخلاصه،وعمادها التصوير الفني، فالماضي الفاسد يجب تحطيمه، ويليه مرحلة بناء وتعمير وتفاؤل وثقة بالنفس وأمل في المستقبل"[i].

وكان لازدهار الفنون النثرية أثر في تبني الواقعية التي تعد أقرب الفنون الأدبية إلى لغة المجتمع، فتجلت بوضوح في الفن الروائي والقصصي والمسرحي. فالواقعية تعني ضرورة الاهتمام بالمجتمع وليس بالفرد، وبالصراع على المصالح وليست بالعواطف، والأدب الواقعي أدب أزمة صدر عن واقع الحضارة الأوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عصر التقدم المادي والعلمي، وهو عصر الصراع الاجتماعي، ولهذا كانت الواقعية الأوروبية متشائمة؛ لأن المجتمعات المأزومة حققت رخاءً مادياً ولكنها لم تحدث توازناً روحانياً، فالتقدم المادي الحضاري لم يحقق السعادة للمجتمع وأفراده، إذ إرخاء انصب على فئة دون أخرى ولم يستطع العمل إيجاد حلول لمشكلات الإنسان الروحية والنفسية[ii].

لذلك ظهر أدب هدفه أن يعالج الصراعات الطبقية أملاً في تحقيق الرخاء الذي لم يتحقق بالرقي العلمي والمادي، ورأي أن الرخاء يتحقق من خلال الثورات، وقد أسرف هذا الأدب في تخيل الصراع، وهوّل من رصد الروابط الاجتماعية المفككة، ومن الاتكاء على أن الحل الوحيد هو الصراع للخلاص من براثن الواقع وتسلط الطبقية العليا، ولهذا تعرضت الواقعية لتحفظات كثيرة وتعددت الواقعيات ما بين رومانسية ونفسية وتاريخية، فإذا كانت الواقعية النقدية قد نحت منحى المتشائم اليائس من اكتشاف حلول لصراعات المجتمع، فقد نزعت الواقعية الاشتراكية بعد انتصار الثورة الاشتراكية إلى التفاؤل، وعزا لوكاش هذا التفاؤل إلى طبيعة الشخصية الروسية ورأي أن الواقع في ذاته جميل، ولذلك لا يحتاج إلى تدخل لإضفاء الجمال عليه، ومن هنا كان تركيز الواقعية

لتقدم للمجتمع أكثر من تركيزها على خدمة جماليات النص، وإذا كانت الواقعية قد أدت خدمة اجتماعية فقد ألبست ثوباً سياسياً فلسفياً خاصة في آراء لوكاش[iii].

إن الارتباط بين الواقعية بمستوياتها وأساليبها، وبين الأيديولوجية السياسية قد أغنى الفكرة من جانب؛ من حيث علاقة الأديب بمجتمعه، ومفهوم المجتمع ذاته، وكيفية تشكيل هذه العلاقة، إلا أن هذا الارتباط أضعف الواقعية بإلحاحه على القضية الاجتماعية، وما يستوجب هذا من مستوى لغوي يناسب جماهير القضية الاجتماعية، مما أدى إلى جعل الأدب تصوير للواقع المرحلي أكثر مما هو تصوير للخبرة الإنسانية، وكشف عن مساحات خفية في اللاشعور، ومن النقاد من رأى أن الواقعية ليست محاكاة للواقع وإنما إعادة إنتاج الواقع، وأصبح مفهوم الالتزام مرتبط بالواقعية، ولا شك في أن الالتزام يصدر عن موقف فكري ووجهة نظر في الحياة، والمجتمع، والكون، والوجود، وعن رؤية أيديولوجية عامة هي الرؤية الماركسية في صورتها الواسعة من التعاطف مع الطبقات الاجتماعية الدنيا الكادحة، وقد أكد ماركس أن (الالتزام) لا يعني (إلا لزام)، فالأدب الواقعي الاشتراكي ليس أدب دعائياً يبتعد عن أصول الفن وشروطه[iv].

ولهذا رفض النقاد مقولة (الأدب مرآة المجتمع)، إذ المقولة تركز على فكرة الانعكاس بين الواقع الاجتماعي والواقع الأدبي، غير أن هذه الفكرة تخالف واقع الإبداع في تميزه وفرديته، وتخالف طبيعة العلاقة بين المجتمع والمبدع، وهي ربط بين متباينات. إلا أن الواقعية النقدية التي اغتنت مع مرور الزمن بالنظريات العلمية، أصبحت ذات أهمية خاصة في ميلها إلى التصوير الفني لإبراز البطل الإيجابي، وأضحى أساس علم الجمال في الواقعية الاشتراكية يركز على التصوير الفني في الإنتاج الأدبي.

المطلب الأول

الواقعية العربية

إن الوطن العربي عاش نهضة بطيئة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وظهر نخبة من المفكرين ينشرون أفكارهم بين الناس لتغيير الأوضاع السيئة في المجتمعات العربية، وأخذ الجدل يدور حول الأسس الأجدى لتغيير الواقع، هل الأسس القائمة على الروابط الدينية، أو القومية، أو الوطنية؟

وما إن جاء النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى ظهرت نشاطات فكرية أكبر أحدثت نوعاً من التغيير، وتعددت اتجاهاتها منها الاتجاه الإسلامي ومن أقطابه: محمد بيرم (1889) وطاهر الجزائري (1920) ورشيد رضا (1930) وشكيب أرسلان (1946) ..... وغيرهم.

واتجاه قومي عربي ومن دعاته: لطفي السيد (1963) وطه حسين (1973) وسعيد عقل (1913)..... واتجاه اشتراكي: ويعود بجذوره إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ومن أبرز دعاته سلامة موسى (1958) وحسين المنصوري (1890) ويوسف يزبك (1895) وغيرهم(٧).

وقد ظهرت الواقعية في الوطن العربي نتيجة وعي قومي تزايد يوقف الشعب الكادح على حقوقه في الحياة والحرية، ويدفعه إلى استردادها من المغاصبين، وعي ثوري يدعو إلى ضرورة تغيير الواقع والخلاص من عيوبه، وقد ساهمت الترجمة للأدب – خاصة الأدب الواقعي– في نشأة الاتجاه الواقعي العربي، فالعوامل السياسية والاجتماعية، والفكرية، والفلسفية كانت مهاداً طبيعياً لهذا التوجه، ولخص الأستاذ محمود أمين العالم مبادئ الواقعية الجديدة على النحو التالي:

1. إن الواقعية الجديدة تؤمن بالإنسان على أنه كائن يميل إلى حياة سعيدة حرة.
2. تتكئ الواقعية الجديدة على نظرة كاملة للحياة والإنسان.
3. الأدباء الواقعيون متفائلون، فظلام الواقع رغم آلامه لا بد وأن ينتهي ويشرق المستقبل.
4. الواقعية تنادي بوحدة الشكل والمحتوى والوحدة العضوية.
5. الصلة وثيقة بين الأدب والوطن الذي أنتجه إذ الأديب مخلص لوطنه وقضاياه، ويعبر بصدق عن ذلك.

6. يختار الأديب مادته من الواقع ويعبر عنها بشمولية.
7. يستخدم الأديب الرمز والأسطورة للتعبير عن الواقع دون تضخيم أو تسعف[vi].

إن العقد الخامس من القرن العشرين شهد اكتساح المنهج الواقعي للساحة الأدبية والنقدية، واستمر ذلك إلى الثمانينيات من القرن نفسه، وكان ذلك بجهود حسين مروة الذي كتب عشرات المقالات حول الواقعية الاشتراكية إضافة إلى كتابه "دراسات نقدية"، وبجهد آخرين أمثال محمد أمين العالم، ومحمد مندور، وعبد العظيم أنيس، وكانت الثورات وحركات الاستقلال التي تبنت الأفكار الاشتراكية والماركسية نواة لهذه الجهود ولهذا الاكتساح، وبعد نكسة حزيران (1967م) أعاد الفكر الماركسي حساباته واختلفت طريقة نظرة إلى الأمور فأحدثت النكسة تصورات عدة للمنهج الواقعي ومفاهيمه، وقد كتب سهيل إدريس يقول: "إن أدبنا العربي الحديث يتمخض في هذه الفترة عن ثورة عارمة تريد أن تطيح بكل المؤسسات التي شاركت في صنع الهزيمة، وتخلق جيلاً جديداً يستطيع أن يرسي حضارة عربية جديدة، تعبر عن حقيقة الإنسان العربي الجديد المؤمن بالتطور والتقدم"[vii]. وأشار غالي شكري إلى أن النكسة كانت عود الثقاب الذي أضرم الشعلة في قلوب الكتاب وعقولهم[viii].

فالواقعية وبلسان دعاتها رأت ضرورة وضع الثورة العربية التي انهزمت في حزيران (67) في قفص الاتهام[ix]. ولذلك شاع الإيمان بالواقعية الاشتراكية في خضم الأحداث السياسية التي تعصف بالمجتمعات العربية، "فالتخلخل أدرك العالم في وعي الشاعر والفنان والنخبة فقط، هؤلاء هم ثوار وسط عالم من الأفكار المحنطة"[x].

المطلب الثاني

واقعية حسين مروة:

كتاب "دراسات نقدية" لحسين مروة كتاب نقدي يقع في (444) صفحة من القطع المتوسط، يلخص مبادئ الواقعية الجديدة من خلال دراسته لبعض الأشعار؛ أو تعليقاته على بعض الكتب المنتقاة، أو إشارته إلى بعض الفنون النثرية. ويبدأ كتابه بدراسة فارس آغا" لمارون عبود الذي لا يحدد نوعه الفني، فهل هو قصة أم رواية أم مذكرات؟ ولكنه يعلق بالقول (فارس آغا) يحمل اتجاهاً واقعياً في جوهره وواقعيته وهي (الواقعية) في "فارس آغا" أكثر عمقاً ونضجاً منها في أكثر ما كتبه، ويعلق بقوله: "إن كتابات مارون جاءت صفحة من حياة لبنان في تلك الفترة بمختلف نواحيها ومرافقها، وتاريخاً حياً لتقاليد شعبه ولأوضاعه السياسية والصراع الخفي السافر بين الفلاحين والحاكمين، وللتناقضات الاجتماعية التي كان يخلقها هذا الصراع في كل قرية وضيعة، وشخصية "فارس آغا" صورة ناطقة حية لما كان يلقاه الشعب اللبناني والفلاحون بخاصة من أنواع التعسف الاعتباطية البشعة المرهقة على أيدي ممثلي النظام السياسي والإداري والقضائي والعسكري معاً"[xi]. وهذا يذكرنا بموقف جولدمان في رؤيا العالم حين ركز على أن الأديب يعبر عن مشاكل طبقة لا مشاكل فرد.

ورأى مروة أن مسرحية "الطعام لكل فم" لتوفيق الحكيم من أعلى الكتابات الأدبية فنية لأن كاتبها واقعي صلباً ولحماً ودماً فقد نفذ الحكيم ببصيرته إلى حقيقة مفادها "أن إلغاء الجوع هو إلغاء العبودية على الأرض ... عبودية الأفراد ... وعبودية الشعوب ... الطعام هو الحرية"[xii]. ولم يتوقف مروة عند المستوى الفني للمسرحية أو يبرز جمالياتها ليقنع القارئ بالحكم النقدي الذي عممه بقوله: "يرقى إلى أعلى المستويات".

وقد أعجب مروة بكتاب "هوامش" لميخائيل نعيمة نظراً لتفكيره الواقعي في المقالات وتوقف عند مقالات بعينها وهي: "الشحاد" و "زاوية دافئة" و "ناسف العالم عن الموت والحياة" و "خراب مأهول" و "فتاة وفتاة" و "صلوات" و "حديث الحرف والقلم". ورأى أنها تصور حياة الناس، وتحاول تغيير حياتهم وإصلاح العطب فيها، أما المقالات التي لم يتوقف عندها من كتاب نعيمة فرأى أنها لا تتناسب من حيث القيمة الفكرية والفنية مع سائر فصول الكتاب؛ لأنها تدور حول قضية عاديه مسطحة مباشرة[xiii].

ويناقش مروة آراء لويس عوض حول الاشتراكية والأدب الاشتراكي ويرفض مقولات عوض حول تداخل المدارس المادية؛ لأنها نبعت من منبع واحد، فالمدرسة الاشتراكية الثورية وإن كانت مادية النزعة إلا أنها تنزع إلى نوع من الميكانيكية التي ترفضها الواقعية الاشتراكية رفضاً تاماً[xiv].

إن الواقعية تطورت وتعددت مراحلها وهذا التطور يعني قابلية الواقعية للتكيف تبعاً لحركة المجتمع والحياة، ولا يصح أن نطلق على الواقعية التي دخلت بلدان لا تنتمي إلى الاشتراكية بالواقعية الاشتراكية؛ لأن صفه اشتراكية تدخل في صلب المحتوى الأدبي من حيث كونها انعكاساً لحياة اشتراكية يمارسها الناس ممارسة فعلية، ولهذا أحس مروة أن مصطلح الواقعية الجديدة أولى بالاستخدام في بلدان غير اشتراكية، فالكاتب يتعمق في فهم الواقع وحركته من خلال وجدانه، ويعبر عنه، فعملية الإبداع ليست عملية عقلية محضة، ولا عملاً سياسياً فقط، وإنما هي عملية يشارك فيها العقل الوجدان، وتتطلب موهبة ووعياً نافذاً على جوهر الأشياء[xv]، ولهذا يرى مروة أن الواقعية ليست عقلانية خالصة وإنما هي ممتزجة بالإبداع الرومانسي والخيال، ومن العسير أن تضع إصبعك على جانب من الفن وتقول هذا واقعي، ثم تضعه على آخر وتقول هذا رومانسي، إن الفن أعظم تعقيداً وتركيباً[xvi].

إن الواقعية التي يسعى مروة إلى تعميقها لا تقوم على المذاهب المادية الصرفة، بحيث تتلاشى شخصية الفرد فيها، وإنما هي واقعية تقوم على أسس من الاشتراكية المعتدة بالفرد والجماعة، وتهدف إلى تحقيق الحرية والرخاء، وتتضمن الواقعية القومية، والإنسانية والاجتماعية، فالإنسان بعامة هو هدفها في نضاله السياسي والاجتماعي، ومن هنا ناقش حسين مروة عبد الله القصيمي في مقولاته حول الثورة والتغيير في المجتمع، وحول مبدأ الالتزام وخلص إلى أن القصيمي اقتصر في حديثه على الثورات العسكرية دون أن يربط بين الشعب وظروفه الاجتماعية والاقتصادية، فكل ثورة تدرس وفق النظرية الثورية ذات الأهداف الاجتماعية. وحاول أن يرد على سوداوية القصيمي الذي يرى أن التفكير العربي عاجز عن التفوق على ظروفه، وقد وحدّه السلطان، فالعربي يشعر بحاجته إلى أن يظل عبداً يؤمر ويُنهى، والشعر العربي بجملته قد جسّد ذلك من خلال تلفعه بأردية الموت وكيمياء الفناء، وكانت منطقية مروة واضحة حين أعاد القصيمي إلى مختلف المراحل التاريخية التي تبين انتفاض الشعب على الحاكم، وأما الثقافة العربية بكل فروعها فهي تعبر عن الفناء والموت وغيره من موضوعات وهل خلا أدب أمة أو ثقافة من الانشغال بالموت[xvii]؟!.

وقد بحث مروة في العلاقات بين الفلسفة والمجتمع من خلال كتاب "الوجدانية" لكوامينكروما*، الذي يُعد النموذج الأروع لليقظة الثورية الأفريقية الصاعدة، التي تقوم على أن الوجدانية الفلسفية هي الخريطة التي ستؤهل المجتمع الأفريقي من ترتيب القوى، والعناصر الإسلامية والغربية المسيحية، والمبدأ الرئيسي للوجدانية الفلسفية هو معاملة كل إنسان على أنه غاية، وليس مجرد وسيلة، وهذا الاستنتاج واقعي صحيح، فتقييم ظروف الإنسان الاجتماعية يشكل جزءاً من تحليل الوقائع والظروف، وهو النقطة الصالحة للبحث في العلاقات وفي إنهاء الصراعات[xviii].

ومن المنطلق الذي يؤمن مروة به وهو أن الكاتب يتعمق في فهم الواقع وحركته من خلال وجدانه، ويعبر عن ذلك، درس أشعار أبي نواس ورفض تحليل النويهي لنفسية الشاعر؛ لأنه يتوقف عند ظاهرة الجهر بالآثام وإعادة ذلك إلى نفسية الشاعر "أبي نواس" وألصق به كثيراً من الأمراض النفسية، وكذلك رفض تحليل العقاد لنفسية أبي نواس، وأعاد مروة الجهر بالآثام إلى العلاقات الاجتماعية السائدة في بيئة الشاعر وعصره فقد شاعت فيها ظاهرة الانحلال والعقل الباطن للشاعر ليس مستقلاً عن وعي الإنسان، فهو ليس سوى جانب من العقل الواعي يتصل به، وينفعل معه، ويختزن ما يؤدي إليه من تجارب ومشاهد وأحاسيس، ولذلك كان شعر أبي نواس صورة لانحرافات كانت شائعة في مجتمعه وثقافة هذا المجتمع[xix].

ثم تناول مروة ديوان "خطوات في الغربة" لبند الحيدري، وأكد على أن الحيدري ينتسب في جذره الحقيقي إلى المدرسة الواقعية، مع كونه يكتسي بأجنحة الرومانسية الأصيلة، وهذا اللقاء الحميم بين الواقعية والرومانسية يمكن تقديمه برهاناً على أن الواقعية تحتمل أزهى ألوان الرومانسية، بل هي ضرورة لها، ومصدر هذه الواقعية الرومانسية عند الشاعر هو غربة الشاعر، وتأملاته الباطنية النابعة من تجربة حية لها جذورها الواقعية في بلاده، وعند بعض أهل جيله[xx].

أما شعر الأخطل الصغير فهو شعر اجتماعي، تناول الحديث عن تحولات المجتمع العربي منذ الانقلاب العثماني إلى الحرب العالمية، ويدور حول محاور ثلاث؛ لبنان والعرب والإنسانية، ويبتعد عن الرومانسية، وكذلك كان حال ميشال طراد في ديوانه "ليش" الذي يطرح تساؤلات وخواطر اجتماعية تعكس نظرة الشاعر إلى عدد من القضايا الإنسانية[xxi].

ويقدّر مروة جهد خليل حاوي في ديوانه "بيادر الجوع" حين عبّر عن هم كبير من هموم عصرنا الحضاري، وهو هم الثورة التي تجتاح الأشكال الشعرية التقليدية، بعد أن أصبحت عاجزة عن استيعاب تجارب العصر المركبة المعقدة، وهم آخر وهو المعاناة الجادة للمعضلات الإنسانية الفلسفية، فحاوي أحس بتحديات الواقع وتناقضاته، وحاول أن يكتشف قوانين التناقض، وأن يكتشف الأمر الجوهري في قلب التناقضات بطريقته الشعرية التي تعتمد الرمز والإيحاء[xxii]. ويقف مروة عند بعض رموز شعر لعازر التي تكشف تناقضات المدينة، وأزماتها، ومشكلاتها، وتفضح جوانبها السلبية، وأثنى على جهود لعازر لإخراج الأسطورة عن دلالتها الأسطورية التاريخية إلى دلالة جديدة يتفتح في قلبها مضمون وجداني فكري، أو فلسفي، أو اجتماعي، يستمد عناصره من مكتسبات الحضارة[xxiii].

فالشاعر الكبير يملك القدرة في رؤياه على اكتشاف ما هو حقيقي وجوهري في قوانين الواقع، وخصائص العصر، ويوظف موهبته وشاعريته في رسم هذه الرؤيا.

وينهي مروة كتابه بالتعليق على قضية الكتاب والنشاط الثقافي السائد في البلدان العربية، ولبنان على وجه الخصوص من خلال دراسته لآراء عبد اللطيف شراره في كتابه "قضية الكتاب اللبناني"، ويضع مروة أهدافاً للنشاط الثقافي، ويربطها بالأهداف الوطنية، وتتمثل بتثقيف الشعب تثقيفاً عاماً وشاملاً، وتوجيه الثقافة نحو بناء وطن متقدم وشعب متوحد، وبناء النظام الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي في لبنان على قاعدة الديمقراطية الوطنية، التي قوامها اتفاق المواطنين بمختلف الطبقات، والطوائف، والعقائد، والمذاهب الفكرية على حماية الاستقلال الوطني، وتطوير مرافق الاقتصاد، والثروة العامة تطويراً مستقلاً منتجاً، والدفاع عن حياة الشعب وإقامة الحريات السياسية والفكرية[xxiv].

إن مروة يربط بين قضية الكتاب وقضايا الأمة العربية، ويرى أن قضية الكتاب لا تعالج إلا من خلال معالجة الحياة العربية برمتها؛ سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وهذه الحقيقة ترشد الأدباء والمفكرين إلى أن قضيتهم هي قضية شعوبهم، وربما يقف المرء حائراً، هل معالجة قضية الكتاب لا تتم إلا بمعالجة قضايا الأمة كما يذهب مروة إلى ذلك، أو أن قضايا الأمة لا يمكن معالجتها إلا من خلال الكتاب، أو أن العلاقة جدلية بين هذه وتلك؟!

إن مضمون العمل الثقافي لا ينفصل عن قضايا الحياة الاجتماعية التي بدورها لا تنقطع عن التأثر بالأعمال الثقافية، فالثقافة انعكاس لحياة الإنسان في شعب ما أو أمة ما، وحياة الإنسان متأثرة بالمضامين الثقافية، والأعمال الرائعة، فالأدب الفاعل يركز على البنية الدنيا –على الشعب– في كافة أحواله ليحدث تغيراً في حياة الشعوب.

ومن أهم القضايا التي أغفلها مروة في تعرضه لقضية الكتاب هي قضية (التلقي)، فإذا كان الأديب مرآة لمجتمعه وقضاياه، فأين تأثر المجتمع بالكتاب والثقافة؟! هل الغاية من الفن إعادة إنتاج كل ما في الحياة من صراعات وتناقضات؟ وهنا يكمن قصور الواقعية وضعفها، وعجزها عن التأثير بالحياة، إنها لم تسر في مقدمة الحياة بل إن التسجيل والرصد لما يحدث هدفها"[xxv].

لقد تجلت الواقعية عند مروة في كل ثنايا كتابه، ويستطيع القارئ لكتابه أن يقف على ألوان منها، فالواقعية النقدية التي ترصد التناقضات في النظام الاجتماعي، وتصور هذا النظام وتبدو نزعة التشاؤم واضحة فيها، ولذلك لا بد من الثورة، تجلت في أكثر من مقال في كتابه. والواقعية الجديدة التي تبحث عن طريق الخلاص من الحاضر وعمادها التصوير الفني، ونادت بالنظرة التفاؤلية، نظرة البناء لا نظرة النقد فقط، فهناك ماضٍ فاسد يجب تحطيمه، وحاضر يقوم على البناء ومستقبل واعد[xxvi]، هذه الواقعية تجلت في أغلب مقالاته، ولا شك أن الواقع الثوري والنضالي وما لازمه من بؤس الشعوب وظلم الحكام جعل النقاد والأدباء الواقعين يتجهون نحو هذا التوجه، فالواقعية نبعت من واقع المجتمعات العربية، الفكري، والسياسي، والاجتماعي، فتجلت ثورتها ضد الاحتلال، وضد الرأسمالية، وضد الفقر، وضد الإقطاع، وهذه ثورة مقبولة، لكن ثورة بعض أتباعها ضد التراث كانت ثورة مرفوضة، وقد انقسم الفكر الماركسي حسب نظرته إلى التراث إلى ثلاثة أقسام: قسم ينقض التراث ومعه الدين، وقسم يفسر التراث في ضوء المادية الجدلية، وقسم ثالث يقسم التراث ويفسره من داخل التراث، ويمكن أن نقول إن مروة في واقعية حاول تفسير التراث في ضوء الفكر المادي، واتضح ذلك جلياً حين أثنى على خليل حاوي ولعازر في استخدامهما الأساطير، وإكسابها معان ملائمة للحياة، ونجاحهما في دعم جهود القوى الثورية في حركة التحرر العربي المتخلفة، ولها تراثها المتميز عن تراث هذه القوى.

الخلاصة

اكتسحت الواقعية البلدان العربية منذ منتصف القرن العشرين بجهد مروة وزملائه من أتباع المنهج الواقعي ، وارتبطت عضوياً بالنضال الثوري للطبقة الكادحة، وظهرت ضرورة حياتية ملحة، ساهمت الظروف الاجتماعية، والسياسية في نشاط الواقعية، وتطورها، إلا أنها واقعية مبتسرة إلى حد ما. ويتضح ذلك من خلال تعسف مروة في تفسير التراث وإفراغ التاريخ من

محتواه وهو أمر غير مقبول. والبقاء في فلك الاقتصاد، وأثره في التطور والتقدم خطأ، فالتأثير الاقتصادي لا أحد ينكره، لكنه ليس الأوحد في تشكيل البنية الثقافية، ولهذا يمكن القول إن واقعية مروة على أصالتها إلا أنها تتشابه مع الواقعية العالمية في سمات كثيرة؛ كالإيمان بالإنسان، وتقديس العمل، والدعوة إلى الحرية والعدالة، والإيمان بالتطور، والتبشير بانتصار الشعوب، والمطالبة بتجنب الأوهام، والإغراق في الأخيلة والبساطة في التعبير،

وظل الطابع الاجتماعي للعمل الأدبي مطلباً أساسياً، وطبقاً لذلك فإن الفنان لا يسعه أن يغفل الحقيقة والواقع، ومن هنا تنبع الصبغة الواقعية الفعلية لكل أعمال الإبداع الفني، التي تعبر عن أفكار، وحقائق تاريخية نسبية، وتقوم بتوصيلها للغير، ولذلك أخذ الناقد يدور في فلك هذه الصبغة الواقعية، ومدى قدرة الأديب على تحليل عيوب المجتمع، والإسهام في تجاوزها[xxvii].

ورغم ذلك تبقى الواقعية تتميز عن غيرها في انطلاقها من مسائل فكرية خصبة مرتبطة بحياة الإنسان ووجوده ، وبرؤيتها الواعية النافذة إلى جوهر الأشياء، ووقوفها موقفاً إنسانياً لاستخلاص الحقيقة الثورية، ولهذا فهي من أكثر المناهج حيوية وأطولها عمراً، وهذه الدراسة حاولت أن تستكشف رؤية مروة الواقعية وأثرها على اكتساح الواقعية العربية.

المصادر والمراجع:

1) الأدب والفن في الاشتراكية، ماركس، ترجمة عبد المنعم خفاجي.
2) الالتزام في الشعر العربي، أحمد أبو حاقة، دار العلم للملايين، بيروت،ط1، 1979.
3) بوارد الرفض في الشعر العربي الحديث، خالدة سعيد، مجلة شعر، ع 19 السنة الخامسة صيف 1961م.
4) جولة في العالم الاشتراكي، محمد مندور، القاهرة، 1956.
5) حول نقد الشعر، غالي شكري، مجلة شعر،ع(41) شتاء 1969م.
6) دراسات نقدية (في ضوء المنهج الواقعي)، حسين مروة، مكتبة المعارف، بيروت، 1988.
7) الفكر والحرية، يوسف الخال، شعر، ع (44) صيف 1970م.
8) منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1986م.
9) قصص واقعية من العالم العربي، محمود أمين العالم وغائب فرمان، دار النديم، 1956م.
10) مداخل النقد الأدبي الحديث، محمد حسن عبد الله، الدار المصرية السعودية، للنشر ط1، 2005م.
11) في سبيل الواقعية، تأليف أ. لافريتسكي، ترجمة جميل نصيف وحياة شرارة، عالم المعرفة، بيروت، د.ت.
12) الواقعية في الميزان، لوكاش، ترجمة أروى صالح، مجلة القاهرة، ع171.

---

[1]. جولة في العالم الاشتراكي، محمد مندور ص (101).
[2]. انظر مداخل النقد الأدبي الحديث ص (96-98).
[3]. انظر لوكاتش: الواقعية في الميزانية حيث فرق بين الواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية، مجلة القاهرة، ترجمة أروى صالح (171-172).
[4]. انظر الأدب والفن في الاشتراكية ترجمة عبد المنعم الحفني ص (16).
[5]. انظر الالتزام في الشعر العربي، أحمد أبو حاقة، ص (109-141).
[6]. انظر المقدمة لكتاب "قصص واقعية من العالم العربي" محمود أمين العالم وغائب فرمان، دار انديم، 1956، ص (21-24).
[7]. سهيل إدريس، مجلة الآداب، عدد (6)، سنة 1973م، ص(2).
[8]. انظر حول نقد الشعر، غالي شكري، مجلة شعر ع(41) شتاء 1969،ص (134).
[9]. يوسف الخال، الفكر والحرية، مجلة شعر، ع (44)، صيف 1970، ص(5).
[10]. خالدة سعيد، بوادر الرفض في الشعر العربي الحديث، مجلة شعر ع (19) السنة الخامسة، صيف 1961م، ص (91).
[11]. دراسات نقدية، ص (21-24).
[12]. دراسات نقدية، ص(41).
[13]. انظر السابق، ص (55-56).
[14]. انظر السابق، ص (63).
[15]. دراسات نقدية (97).
[16]. السابق (117).

17. انظر دراسات نقدية (183-186).

*كواميكروما: رئيس جمهورية غانا.

18. انظر السابق (228-229).

19. دراسات نقدية (252).

20. السابق (343-355).

21. انظر السابق ص (290-319).

22. دراسات نقدية (383).

23. السابق (395-397).

24. السابق ص (438).

25. في سبيل الواقعية، تأليف أ.لافريتسكي ترجمة جميل نصيف وحياة شرارة، ص(97).

26. انظر جولة في العالم الاشتراكي، محمد مندور، ص (101).

27. منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، صلاح فضل، ص (2505/84).